منذر مصري

من الصعب أن أبتكر صيفاً

شعر

IT'S HARD TO
CREAT A SUMMER

- عِندما كتبَ في أوَّلِ صفحةٍ من مُفكِّرتِهِ السنَوية:
(تَحتَ وَطأةِ إغواءٍ شديدٍ أن أكونَ حقيقيّاً)،وضعَتْ بالقلمِ الأحمرِ خطّاً مائلاً (/) بعدَ (أكونَ)، وكتبَتْ فوقَهُ (حَيواناً).

سَطرٌ على خَوائهِ يُحسَد

سادِراً في أهوائهِ
يمضي فوقَ الأجرافِ
ثُمَّ يُعَرِّجُ على الشُعُب
في مُحاولةٍ منهُ لِخِداعِ الحَواسّ
قائلةً: (عرَفتَني حتّى المَضيق)
نفسي لا أذكُر
إن كنتُ أنا مَن لَمَسَهُ
أَم أمَرَتني بهِ
أحلامي!.
/
فهوَ إذا ناداهُ باسمِه
يضَعُ لهُ (ياءً) في آخِرِه
ويُحصيهِ في تَعدادِ رَقيقِهِ
فلا يصيرُ من حَقِّ أحدٍ
أن يأخُذَهُ لنفسِهِ
أو أن يُعطيهِ لغيرِهِ
مُنضَمّاً إلى افتِتانٍ مُغرِضٍ
في سطرٍ لَم يُكتَب عليهِ شَيء
الجميعُ يعلَمُ أنَّهُ يحمِلُ
آلافَ المعانِي
لِذا على خَوائهِ
يُحسَد.

/

سِيّانَ أن تنتظِرَ منهُ هاتِفاً

تَهذُرُ بهِ ظُنونَكَ

أو أنتَ مَن لا يطيقُ الانتظار

فتسارِعُ وتتَّصلُ

فيُجيبُكَ:(الوقتُ – كَما تَرى –

نَصلٌ بِلا مَقبِض

يجرَحُ

لا لِطَعنةٍ منهُ أو لِحَدّ

بَل لسُرعتِه

أو بَطيءٌ تتأفَّفُ من

طولِ تَلَهِّيه).

/

منَ الصَعبِ عليَّ أن أبتَكِرَ صَيفاً

أشدَّ لُزوجةٍ من فَخذَيكِ

ذلِكَ أنّي بلَغتُ منَ الحُبِّ

ما جعَلَ فَنّيَ الوحيدَ

هوَ

الأَذى..

تَصادَفَ أنّي كُنتُ جَناحاً منَ الحنان

تَصادَفَ أنّي كُنتُ جَناحاً منَ الحنان
تَحتَ وطأةِ إغواءٍ لا يُقاوَم
أن أكونَ حقيقياً
كعُملةٍ أصُكُّها من ذهبٍ خالِص
تزييفاً لعُملةٍ ذاتِ خَتم
صُكَّت من خليطِ أشدِّ المعادِنِ
خَساسَة.
/
إذا جاءنِي عَطشاناً
يُقرقِعُ لي بعظامِهِ اليابِسة
أكشِفُ أمامَهُ فُتحةَ بِئري
وأسقيهِ فماً بفَمٍ من دَلويَ
وإذا كانَ جائعاً
ومنذُ دَهرٍ– يشكو –
لَم يدخُل جَوفَهُ
سِوى بقايا طبيخٍ فاسدٍ قذفَ بِهِ الخَدَمُ
أُطعِمُهُ من خُبزي وبَصلي
ولا أضِنُّ عليهِ
بنَزرٍ من قَديدي.
/
وإذا كانَ ضالاً بلا مأوى
هائماً في الأرضِ
مُعفَّراً وجهَهُ بالتُراب

لا يعرِفُ يَمينَهُ من يَسارِهِ
ولا أمامَهُ مِن خلفِهِ
ودَهراً لَم يُفتَح لهُ بابٌ
أو يُقدَّم لهُ كُرسيٌّ ليجلِسَ ويرتاحَ
...
أُدخِلُهُ بيتي
ودونَ أن يغسِلَ قدميهِ
أدَعُهُ بأسمالِهِ ينامُ على أغطيةِ سريري
وأنامُ أنا على أريكةٍ باليةٍ
كنتُ قد وضعتُها
بعدَ شرائي أريكتينِ جديدتين
على مَبعَدةِ خُطواتٍ من بابِ بيتي
فإذ ما رآها عابرٌ
يكونُ بوُسعِهِ
أن يرقُدَ عليها ما طابَ لهُ
ثُمَّ يحمِلَها على ظهرِهِ
ويَمضي
بلا
استفسار.
/
وإذا كانَ بِلا ربّ
وإذا كانَ يوماً قد أضاعَ ربَّهُ
بأن وضعهُ

أثناءَ قَضائِهِ حاجةً طارئةً
بِجانبِهِ
فوقَ حجَرٍ على الطريق
فنَسَيَهُ هناكَ ومَضى.
/
أو رُبَّما سقَطَ ربُّهُ
من خَرمٍ في جِرابِهِ
ولَم يفطُن لهُ
إلاّ بعدَ مَسيرَةِ أشواطٍ
حينَ خالَجَهُ ذلكَ الشعورُ
بأنهُ أضاعَ شيئاً ما
فراحَ يبحثُ في كُلِّ جِيوبِهِ
ليعرِفَ ماذا.
/
أو هوَ
عَن سابِقِ قَصدٍ
مَن طوَّحَ بربِّهِ على طولِ يدِه
لمعرفةٍ منهُ أكيدةٍ
أنَّهُ لن ينفعَهُ حينَ سوفَ يحتاجُهُ
في المُستقبلِ البعيد
كَما لَم ينفعهُ حينَ احتاجَهُ
في الماضي القريب.
/

أو حدثَ يوماً أن ألَحَّ عليهِ سائلٌ:
(من مالِ اللَّهِ
من مالِ اللَّهِ
ربّاً)
فأعطاهُ
بلا تردُّدٍ
ربَّهُ
وكأنَّ لديهِ ربّاً أو أكثَرَ
فائضاً عن حاجتِهِ.
/
فلا آخُذَ عِبرةً
ونِهايتُهُ أمامَ عيني
...
أُعطيهِ رَبِّي وأبقى أنا
أتقلَّبُ على ظهرِ الأريكةِ
التي وضعتُها على مَبعدَةِ خطواتٍ
من بابِ بيتي
أقولُ بيتي
ومَن يُعطي لأحدٍ ربَّهُ
من أينَ يعودُ لهُ
بئرٌ وقديدٌ وبيت.
/
كأن أدخُلَ من بابٍ

عُلِّقَت فَوقَهُ يافِطَةٌ كُتِبَ عليها

(خُروج)

ولا أجِدُ لي مَقعداً

إلاّ بينَ مقاعِدِ الصَفِّ الأوَّل

مُعَرِّضاً نفسي

لِحُزمةٍ شديدةٍ منَ الارتياب

...

(ماذا أفعلُ

إذا كنتُ الأسعدَ حظّاً

بينَ جميعِ أصدقائيَ

الموتى)!.

/

وعِندما حَظَّرتِ عليَّ

أن أُرسِلَ لكِ أزهاراً

سَواءً على عُنوانِ بيتِكِ أو

مكانِ عَمَلِكِ

بِحُجَّةِ:

(ماذا سأُجيبُ إذا سألَني

أحدُ أُخوَتي

أو أحدُ رِفاقي في عملي:

(مَن أرسلَها لكِ؟

وما المُناسَبةُ؟

وماذا كُتِبَ على بِطاقتِها؟)

...

تذكَّرتُ

أشُمُّ دائماً

عِطرَ

الخيانةِ

في الأزهار.

/

لا فائدَةَ إذن منَ الإدِّعاء

بأنّي أقَلُّ حُزناً

مِمّا أبدو عليهِ حقّاَ

لأنّي يوماً لَم أشكُ

من أيِّ نَوعٍ من أنواعِ

السعادة

كحُبِّكِ

الَّذي يشترِطُ لاستِرضائه

مُجرَّدَ قُبلةٍ

تدومُ

ثلاثَ

ساعات..

هَل تُحِبينَني أكثرَ إذا أحبَبتُكِ أقلّ؟

(إلى صبحي حديدي)

(أُحِبُّ هذا

أكرَهُ هذا

ولكِن مَن قالَ لكِ إنّي

...

أكرَهُ الأشياءَ الَّتي لا أُحِبِّها).

/

تُريدينَني

لأنَّكِ تُريدينَ كلَّ شَيءٍ

وأُحِبُّكِ

لأنّي أُحِبُّ كلَّ شَيءٍ

قُلتُ: (يكادُ شَبَهُنا هذا

أن يكونَ تطابُقاً

لأنَّ مَن يُحِبُّ شَيئاً يُريدُه

ولأنَّ أحداً لا يُريدُ شيئاً
لا يُحِبُّه)
ثُمَّ أنتِ قُلتِ: (أنَّهُ في أسوأِ صورِه
اختلافٌ
يُتيحُ لكلٍّ منّا الفُرصةَ
كَي يُسُدِّدَ نَواقصَه).
/
وهكذا لَم تكن مُجرَّدَ مُصادفةٍ
أنَّكِ أنتِ مَن كانَ
دائماً
يأخُذُ
وأنا مَن كانَ
أحياناً
يُعطي.
/
اِكرَهي أيَّ شَيءٍ
أكرَهُه
حتّى نَفسي
أحِبّي أيَّ شَيءٍ
أُحِبُّه
حتّى نَفسي
أحِبّي رَجُلاً آخَرَ
أُحِبُّهُ

وأقتُلُه

وإذا جَبُنتُ ولَم أفعل

أحلُمُ أنّي..... بهِ

أمامَكِ.

/

سألتُكِ: (هل تُحِبّينَني أكثر

إذا أحبَّبتُكِ أقلّ؟)

مُلقياً كلَّ ثِقَلي على رِقَّتِكِ

فأجَبتِ أنّي بِهذا لا أُسَهِّلُ عليكِ

كَما كنتِ تأمُلينَ منّي

تَركي.

/

لكنَّكِ رَغمَ كلِّ شيءٍ

ترَكتِ

ولَم أستَطِع أنا بدَوري

كَما كانَ ينبغي

أن أترُكَ حُبّي

هكذا

بِلا أحَد..

على فَخذَيكِ كَدَماتٌ غامضة

كيفَ لي أن أُسَمِّيكِ بينَ الطَرائد
وتَفوحُ منكِ
رائحتانِ مُتَناقِضتان
وعلى فَخذيكِ
كَدَماتٌ غامِضَة.
/
عِندما علِقتِ في شِراكي
الَّتي نصَبتُها على الدربِ الَّذي
يأخُذُ اتِّجاهاً مُعاكِساً لوِجاري
كَي لا يخطُرَ ببالِ أحدٍ
أنَّها شِراكي
مُغمِّساً رؤوسَ أوتادِها
بالدمِ
ومُدلّياً من سُقوفِها
لَحماً حيّاً
وفاكِهةً طازجة
ليسَ لكِ وحدَكِ
بل للجميعِ دونَ تَفرقة
لستُ أنا مَن
يُمَيِّز.
/

افهَمي هذا بشُعورٍ مُرهَف

كظلامٍ يسيرُ على يَدَيه

في قاعٍ عَكِرٍ

لا قُدرةَ لي بِمَلَكاتِيَ الطبيعية

على رَصدِه

أو مُلاحقةِ تغيُّراتِه

وهوَ يحَوِّلُ أظافِرَكِ

إلى شِفاه

إذا رَغِبتِ

أو بالعكس

حينَ يتَبدَّلُ عُضوُكِ

من وَردَةٍ تَخجَلينَ منها

إلى شَوكةٍ تُدمي.

/

تَرُشّينَ مِلحاً فوقَ كلِّ طبقِ طعامٍ

يُوضَعُ أمامَكِ

قَبلَ أن تذوقي طَعمَه

فما بالُكِ بعدَ أن لَحَستِ جُرحي

واستغربتِ

حَلاوةَ دَمي..

خُذْ قِطاراً منَ الصَفحةِ: 100

ما أن أقَعَ على ظَنٍ
ولَو من بعيد
حتّى أجِدُ نَفسي مَرميّاً في حُفرَتِه
وكأُسلوبٍ استَجَدَّ بي
أسمحُ للأشياءِ أن تَبقى
حَيثُ وَقَعَت
فَقَد اكتَشَفتُ بالصُّدفَةِ
أنَّهُ مكانٌ ملائمٌ
أن أدَعَ المِقَصَّ على الأرض
قُربَ قائمَةِ الكُرسي اليُمنى
بمُتَناوِلِ يَدي.
/
سأُفشي لكَ سِرَّ الألَم
إنَّهُ يبدَأُ بِشُعورٍ حادٍّ بالضيق
ثُمَّ يصِلُ بكِ
بِنقلَةٍ مُفاجِئة

إلى حَدِّ الحاجَةِ
إلى ذَرفِ الدموع
إذا حَدَثَ وسبَقَت نِهايةٌ أخرى
نِهايتَكَ
ورُحتَ لا تَستَطيعُ أن تُجَرجِرَ
إلى خَطِّ النِهايةِ المُشترَك
جُثَّةَ الوقت.
/
حينَ تأخُذُ تِلكَ المَرأةُ
الَّتي وَقَعَتَ في حُبِّها
ولَم تَستَطَع أن تقِف
بسببِ كَسرٍ مُتبدِّلٍ في عَظمةِ القلب
قِطاراً منَ الصفحَةِ: **/100/**
ولا تَصِلُ أبَداً إلى الصَّفحَةِ الَّتي تَقِفُ
أنتَ
بانتَظارِها على الرصيفِ.
/
ولا كَلامٌ
يأتي على ذِكرِكَ طَوالَ الطَّريق
ولا مَحَطَّةٌ مُوحِشَةٌ
بأضواءٍ خابِيةٍ
في آخِرِ الخَطّ.
/

فإن لَم أُصدِّق أنَّكِ أحبَبتِني
كيفَ أُصَدِّقُ أنَّكِ
بَعدَ أن أحبَبتِني بلَحظات
تقولين لي: (كَرِهتُكَ)
لِمُجَرَّدِ أنّي كَسَرتُ أُذُنَ
المَزهريةَ الخزفيةِ الَّتي أحضرتِها لي
وأنا أحاوِلُ إخراجَها
لأوَّلِ مرَّة
من صَندوقِها الضَّيق.
/
أُداري خَيبتي
بِأن أُكوِّرَ فَمَي
وأُصدِرَ منهُ صَفيراً خافتاً
أُلاحِقُ بهِ لَحناً لا أذكُرُ منه
سِوى ملامِحَ مُغبَرَّةٍ في المِرآة
ذلِكَ لأنّي لستُ في حاجَةٍ
لذَرَّةِ غُبارٍ واحِدة
تُصيبُ إحدى عينَيّ
فأفتَتِحُ بِها بدونِ مُناسبة
نَهرَ
جَميعِ
دُّموعي..

قمرٌ نَهاري يذوبُ في ضوءٍ قَويّ

(إلى نوري الجرّاح ، مكثراً من

التفاصيل كعادةٍ الرَحّالة)

لَم يكُن بوُدِّي أن أُحدِّثَكِ عن أشياء

(ماذا يُجدي ذلِك!)

كنتُ أُريدُ أن تُحدِّثَكِ الأشياءُ عنّي

أن أستعيرَ شِفاهَها

لأقولَ لكِ

حتّى إنَّهُ مرَّ في خاطِري:

(بشِفاهِ الآخرين

أستطيعُ تقبيلَكِ).

/

خطأي أنّي لَم أعرِف
من أيٍّ زاويةٍ
ومن أيٍّ مسافةٍ
كانَ عَليَّ أن أنظُرَ إليكِ
كقمرٍ نَهاري
يذوبُ في ضوءٍ قَويّ
كنتُ أراكِ
بعينِ الألَم.
/
لا يلزَمُني البَتَّةَ
أن أقِفَ على حافَّةِ سَطحٍ عالٍ
وأنظُرَ إلى الأسفل
مُتَخيلاً
كيفَ
سَيكونُ
سُقوطيَ
الحُرّ.
/
أو أن أذهبَ إلى مكانٍ فيهِ ضَجيج
وأصرَخَ
وأصرَخَ
وأصرَخ
لأتَمالَكَ نَفسي

وأستَعيدَ بعضَ قُدرتي
على التحكُّمِ بتفكيري:
(فلقد أحببتُكِ أحببتُكِ
وتلَوَّثتُ)
وصارَ ذلِكَ عَسيراً
حتّى على ازدرائكِ
المُبطَّنِ للشفقةِ.
/
ذلِكَ أنّي آثَرتُ معكِ
انْهزاماً مَجيداً
عَوَضَ مُجرَّدِ انتصارٍ
لَن يسمَحَ لي أحدٌ
أن أدَّعيهِ لنَفسي
حينَ لَمَستُ الكأسَ
وأزَحتُهُ من مكانِهِ
ألفَ مرَّة
ولَم أُفكِّر
رَغمَ جفّافِ فَمي
أن أرفَعَهُ
أمامَ كلِّ مَن يراني
وأشرَبَ منهُ
قَطرَة..

إذا كانَ الحُبُّ عَيبَه

كمكانِكَ في حُبِّه
خُدِعتَ في استطلاعِه
لكنَّهُ هوَ مَن سيتقدَّمُ إليكَ
مُستصوِباً خطأكَ.
/
إذَن أعِدْ لهُ
ما كنتَ تَنوطُ بِهِ من حبٍّ
ومن شَهوةٍ
العاشِقُ الَّذي رَميتَ بِهِ
مِراراً
إلى أحضانِ الآخِرين
لِتَعودَ وتَشتَهيه
ما كانَ يوماً
بِمَقدورِكَ إلاّ أن تُحرِّمَ
أن يلمِسَهُ مَلاكٌ

برأسِ إصبَعِه.

/

أصغِ لَه مُتَوارياً بينَ الأغصان

دونَ أن تدعَهُ يلمَحُك

أو عِندَ المِغسلة

حيثُ يُمكنُكَ

أن تَختبئَ خلفَ الحائط

وستجِدُ أنَّهُ ليسَ في هذرِهِ العَذب

ما يمُجُّهُ

التَكرار.

/

هوَ الواقِفُ في النِصف

وقفَةَ الحدّ

فلا يشيدُ ولا يهدُم

وإن مالَ

فبِرِقَّةٍ لازَمتهُ

ما لازمَهُ هَواءٌ

يهُبُّ نحوهُ فجأةً

فيخفُقُ ثَدياه.

/

فإذا كانَ الحُبُّ عيبَهُ

إذن

ليسَ فيهَ عَيب

ولا يُخشى عليهِ إلاَّ من
غِبطَةٍ سوفَ تقَعُ
وشيكاً على فَمِه
فتفضَحُه.
/
أدرِكْهُ من شَقوَةٍ تَمادت
وخُذْ نصيبَكَ من
نصيبِهِ
وإذا سَمِعتَهُ يقولُ مُهَمهِماً:
(إلَهي
رَجائي ألاَّ يكونَ لي
غَداً
رَجاء
فَمن أينَ لي يدٌ
تَمَدُّ و
ترشُفُني)
فلا تُصدِّقهُ
وانزَعْ عنهُ قِشرتَه
وقُلْ لهُ:
(كَما قلبُكَ قَلبي
يَدي
يَدُكَ)..

كُلَّما ضاعَ يجِدُ نَفسَهُ في المِرآة

في اللحظَةِ الَّتي احتجتُ بَها
أن أعرِفَ بدِقَّةٍ عُمري
كانَ عَقربا الدَقائقِ والساعات
قد توَقَفا فوقَ النافِذةِ الصغيرةِ
لتاريخِ اليوم
أي أنَّهُ ليسَ لشَيءٍ حِسابٌ
لا ينعقِدُ
بمَحضِ الصُدَف.
/
وهوَ إذا شاءَ
يستَطيعُ أيضاً أن يمحوَهُ
لكنَّ الزمنَ سيُتابعُ حركتَهُ
وكأنَّهُ حقّاً من
تُروسٍ وعَجَلات
وبِحِرصِه أن يكونَ مُتاحاً
يُجيبُكَ دونَ تلكؤٍ:
(حَسَناً...
أبقِ ليَ البابَ مَوارباً
سآتي بعدَ خَمسِ دقائق)

فأنَّهُ يجعلُ من نفسِهِ
هوَ الَّذي لا يتكرَّرُ
قابِلاً لأن يُمَلّ.
/
كلُّ شَيءٍ يصلُحُ للنِسيان
الَّذي يتظاهرُ الموت
بِأنَّهُ غيرُ قادرٍ على الحدِّ مِن قسوتِه
فهوَ دائبُ العَملِ
في إكمالِ دورتِهِ
بإنباتِ الشَغَفِ
بين شُقوقِ البَلاطِ.
/
حَريصاً أن يُظهِرَ عدَمَ حِرصِهِ
على تَثبيتِ أيِّ صُورَةٍ لهُ
في عُيونِ الآخرين
كُلَّما ضاعَ
يجِدُ نَفسَهُ في المِرآة
مُردِّداً:
(انتَصَرتُ عليّ
ولا أعرِفُ
لي
عدوّاً آخرَ)..

أندَمُ على جَرائمي دونَ أن أرتَكِبَها

لَو رَسمتُ صُورتي عاشِقاً
وكانَ لي أن أُعلِّقَها على حائطِكِ
لترشُقيني بتلكَ النَظرَةِ الزاجِرة
في غَدوِكِ ورَواحِكِ من أمامِها
كلَّ يومٍ ألفَ مرَّة
لَكُنتُ على شَكلِ زهرةٍ عِملاقَةٍ
كثيفةِ الزَغَب.

/

طَوَّحتُ بكُلِّ ما لَدَيّ
على الطَّريق الَّذي سَمَّاهُ الآخرون
حُبَّاً
تَوقاً إلى مَعنى مُثقَلٍ
ومُرهِق.

/

أنا الَّذي مَضيت دونَ شَكوى
إلى الألَم
بقُوَّةِ العاطِفةِ
الَّتي تُطيحُ بكُلِّ ذَنب.

/

كانَ على غَرائزي أن تَصبُرَ دَهراً
حتّى تُثمِرَ
كانَ عليَّ أن أتلهّى بفَضائلي القليلَةِ
حتّى يتَوافَقَ
حَشدٌ من الصُّدَف.
/
ذلِكَ الكأسُ النُحاسيُ
المليءُ بالدَمِ والخواتِم
كان عليَّ أن أدلُقَ ما يحتَويه
ثُمَّ أُطوِّحَ بالكأسِ بَعيداً
كانَ عليَّ قبلَ تركِكِ
- لَو استطعتُ -
كَرهُكِ
وقتلُكِ
كَي لا يكونَ لي
عُذرٌ لعَودةٍ
كَي لا يكونَ لي
مآب
كانَ عليَّ أن أندَمَ
على جَرائمي
دونَ أن
أرتكِبَها..

تَنينٌ سَماويٌّ ذو ذَيلٍ مُبَهرَج

خُذْ يدَها المُلوِّحةَ كصورَةٍ
خُذْها كَتفصيلٍ مُضخَّم
وضعْها ضِمنَ إطارٍ خاص
يشغَلُ
تقريباً
كامِلَ الصَفحةِ
فلا يبقى لَديكَ مُتَّسَعٌ
لبَقيةِ نظرَتِها.
/

ثُمَّ يأتِي اختِفاؤها
كسُطوعٍ حادٍّ
يتبعُهُ انطفاءٌ ذو عُنفوان.
/
لا مانِعَ
الآن
أن أُغلِقَ البابَ
وأنا أقولُ بِصوتٍ
لَن يسمَعَهُ أحدٌ سِواي:
(وَداعاً لعَتَمةٍ
كانت تُقيمُ وشائجَها بينَنا)
فاستَطاعَت أن تُعادِلَ
طَرائقَكِ الخَشِنَة
مَع أشَدِّ أجزائكِ
الخفيَّةِ عُذوبةً.
/
حينَ أفرَطتُ في غِيرَتي على زُهورِكِ
وكأنَّ ذُبولَها يُشبِهُ
غَريباً ألمَحُهُ يمُدُّ يدَه
ويَلمِسُ
خُلسَةً
ما أملُك.
/

لأنَّهُ في الوقتِ الَّذي اعتادَت
فيهِ عَينايَ على عَتمَتِكِ
وصار بَمقدوري أَن أرى
شُعاعَ ضَوءٍ
يُلامِسُ سَطحَ الموجوداتِ
وحوافَّها
فتبدو وكأنَّها
أشباحٌ ساكِنةٌ
سيوقِظُها بعدَ حين
حركةٌ
أو
صَوت
كانَ علَيكِ أن تُسارِعي بالخُروج
دونَ أن تلويَ على شَيء
وكانَ عليَّ بالمُقابِل
أن أنتَقيَ شَكلاً لائقاً
لاختفائي
فلَم أجِد أشدَّ تفنُّناً
من تَنينٍ سَماويٍّ
ذي
ذَيلٍ مُبَهرَج..

يُرشِدُنِي الخَطّافُ بلَمعانِ جَناحِه

وكأنَّ يدَينِ شفّافتين
تعصِبانِ عينَيَّ من خَلف
فلا أرى إلى أينَ
يُرشِدُني
الخطّافُ
بلمعانِ جَناحه.
/
أعتلي حَيواناً قاسياً
صاعِداً على دربِ دُموعِكِ الزَّلِق
أنا الرسولُ البطيء
كُلِّفتُ بِحَملِ البَريدِ الفوري.
/

بادلوا تَحيتي بالنظرات
وهداياي بالتفاسير
أ هيَ نبوءةُ سَعدٍ
أن تعرفيني من صوتي
لأنّي أوَّلُ مَن
أجابَكِ على الهاتِف؟.
/
إذا انتَظَرتُكِ
وأنا أُصَدِّقُ أنَّكِ ستأتين
: (لا بُدَّ سآتِي) قُلتِ
فَوضَعتُ على سطحِ الطاولةِ المرمري
ثُعبانِيَ الأسودَ اللاَّمعَ
وهوَ يتَلَوَّى
وكلُّ ما أطمعُ بهِ هو
إدخالُ السرورِ إلى
قلبِكِ
من أيِّ شَقٍّ
تفتحينَهُ لي.
/
كانَ عليَّ أن لا أُراهنُ
على مَجيئِكِ بكُلِّ آمالِي
كانَ عليَّ أن أكونَ أكثرَ تَحسُّباً
وأُبقي عِندي أملاً واحِداً

على الأقلّ
لخسارةٍ أخيرةٍ قادمةٍ لا مَحالة
لأنَّكِ هذه المرَّة
على غيرِ عادتِكِ
قَبِلتِ بسُهولةٍ دَعوتي.
/
وعِندما سَألتِني:
(إن كنتُ
سأموتُ
من دونِكِ؟)
لَم أجِد في نَبرَةِ صوتِكِ
أنَّكِ تَنتَظرينَ منّي جَواباً
أو أنَّهُ إذا أجَبتُكِ
سوفَ تأبَهينَ
لِجوابي.
/
فقط لَو كانَ في استطاعتي
أن أُحِبَّكِ أقلَّ
أو كانَ في استطاعتي
أن أُحِبُّكِ أكثرَ
فأرضى أن أتَقاسَمَ مَع الآخرينَ
حليبَ فَمِكِ..

أنا هُنا.. لأنّي لستُ في مكانٍ آخر

(إلى محمد دريوس)

إذا قُلتَ: (اسمي خُدعة)
أو قُلتَ: (الأسماءُ ليست سِوى
أُلهيات)
أو: (أنا مُنذر مَصري أنتَ لا!؟)
...
مَن تَحسَبُهُ يُبالي!؟.
/

يُطلِقونَهُ في الهواء
فيُصيبُكَ في إحدى أُذُنَيكَ
وأنتَ تتلفَّتُ
يَمنَةً ويَسرَة
لتكتشِفَ مَصدرَ النِداء
وتُجيب.
/
وإذا قُلتَ: (حيثُ يوجَدُ مكانٌ)
أو قُلتَ: (حينَ يوجَدُ وقتٌ)
أ ليسَ في أيِّ مكانٍ
يوجَدُ مكانٌ
وفي أيِّ وقتٍ
يوجَدُ وقتٌ!؟
مردِّداً:
(يُمكنُكَ العيشُ في أمكِنةٍ كثيرةٍ
ولا يُمكنُكَ الموتُ
سِوى في مكانٍ واحِد)
...
: (وماذا إذَن نفعَلُ هُنا)
أسألُكَ فتُجيب
: (نحنُ هُنا لأنَّنا
لسنا في مكانٍ آخر).
/

أ ينبغي عليَّ
أن أُتابعَ إطلاقَ التكهُّنات
والدِّيكُ يخرُجُ بكامِلِ برقشتِهِ
من الكوَّةِ الضيِّقةِ للساعةِ الحائطية
ويصيحُ
كُلَّما خطرَ لهُ خاطِرٌ
دونَ أيِّ اعتبارٍ
للمواعيد.

/

حيثُ الأوقاتُ نِصفُ مَلآنةٍ
ونِصفُ فارِغة
بتلكَ الأُمورِ المُعتادةِ التافِهة
فلا يحدُثُ شَيءٌ
إلاّ بينَ طيّاتِ الكتُب
لذا تَمنَّيتَ من كُلِّ شاعرةٍ
أهدَتكَ أحدَ كُتُبِها
أن تكتُبَ لَكَ على صفحتِهِ الأولى
في الزاويةِ
كلاماً شَديدَ الحَميميَّةِ
لا لغايةٍ
سِوى لاستخدامِهِ لإثارةِ
غيرةِ الفَتَياتِ الأُخريات
في تدافُعِكِ للإيقاعِ

بكُلِّ واحِدةٍ منهن.

/

أ هُناكَ مُشاهِدونَ
يشغَلونَ مقاعِدَ الصفوفِ الأمامية
والمُمثِّلونَ خلفَ السِتارةِ
نرى ظِلالَهم
ونسمَعُ نُتَفاً من كلامِهم
ولا يخرُجونَ إلى المسرحِ
فتجدُها فرصةً مواتية
لتصعُدَ إلى الخشبة
وتقومَ بأوَّلِ ظُهورٍ في العاصمة
أم أنَّ لَديكَ في اللاذقيةِ
أقارِبَ منَ المُحامينَ
ومُعقِّبي المعاملاتِ في المَحكمةِ
تعمَلُ عِندَهم لتتعرَّفَ
على المُطلَّقاتِ
ومُرتكِباتِ الجُنَح.

/

أرجوكَ
أرجوكَ كُفَّ عَمّا تقومُ بهِ
تأتِي وتُهرِّجُ
وتَهذرُ بأشياءَ لا تُصدَّق
عن تلكَ الفتاةِ الَّتي أتَت بِصُحبتِكَ

مراتٍ عديدةٍ لزيارتي
وفي كُلِّ مرَّةٍ كنتَ تقولُ لي
إنَّكَ التقيتَ بِها
دونَ مَوعدٍ
بالقُربِ من مَدخلِ العِمارة
وكُلُّ غايتِكَ أن أُردِّدَ أمامَها
كعادتي
ما تستوجِبُهُ الحالةُ
من إطراءٍ زائدٍ
لشاعريتِكَ.

/

ها أنتَ من جديد
تصِفُ لي كيفَ في بادِئِ الأمرِ
أحبَّتكَ
لأنَّكَ الشخصُ الوحيدُ الَّذي
تعرَّفت عليهِ ووَجدَتهُ
صادِقاً مع نفسِهِ
بقَدَرِ ما هوَ
صادقٌ مع الآخرين
ثُمَّ لَم تستطِع أن تصبُرَ عليكَ أكثرَ
فترَكَتكَ
بسببِ هذهِ المزيَّةِ ذاتِها
أو لنقيضِها تَماماً

كَما أظُنّ!؟
وحينَ سألتُكَ عن رَقمِ هاتِفها
لَم تتذكَّر
الأرقامَ الثلاثةَ الأخيرة.
/
تزوَّجتَ تقريباً
قبلَ النِهايةِ بشوط
الفتاةَ الوحيدةَ الَّتي صدَّقتَ
أنَّ ما تُظهِرُهِ من اعتلالٍ دائمٍ في المزاج
ليسَ أنتَ
وصارَ لديكَ طِفلةٌ
أسميتَها: (روز ماري)
أو: (ماري روز)
لا أذكرُ ولا يهُمّ:
(سيعرِفُها مَن سيُحِبُّها
من وَحْمةٍ وَرديَّةٍ
في باطنِ كَفِّها الأيْمن).
/
أما زِلتَ وحيداً
وتنضَمُّ إلى الوحيدينَ
إذا تنادوا..

مُعاناةٌ لاهيَة

I– عُلبةٌ فارِغةٌ تُذكِّرُني بِما كانت تَحتويه

هناكَ

دائماً

حُجَّةٌ جاهزةٌ

على

الحُبّ

يأتيكِ في غيرِ مكانِهِ

وخارجَ وقتِه

أو ناقِصاً بلا مُقابل

أمّا الرَغبة

فلَم تكُن أبداً مَحطَّ أنظارِكِ.

/

بَبَّغاؤكِ يُعاني مرضاً نفسياً

لا يكِلُّ من نَزعِ ريشِ صَدرِه

وجَناحيه

بِمنقارِهِ الكبيرِ المعقوف

وعُنُقِهِ القابلِ للمَطِّ والطَيّ

مُبقياً فقط

على ثلاثِ ريشاتٍ حَمراءَ في ذَيلِهِ
كإشارةٍ إلى احتمالِ
نِهايةٍ دامية.
/
أو رُبَّما بسببِ تعرُّضِهِ اليوميّ
للضوءِ الشديد
يتكشَّفُ عن مَيلٍ غريزيٍّ
للتَّعري:
(سُمرةُ جِلدِكِ تزدادُ غُمقةً
عِندما ينثَني)
أحدُنا ينبغي عليهِ
الاعترافُ بذلِك.
/
(أحببتُكَ لأنّي ضِقتُ ذَرعاً
بتَمثيلياتِهِم الهَزلية)
أو
(أحتفِظُ بكَ كعُلبةٍ فارغةٍ
تُذكِّرُني بِما كانت تَحتويه)
...
مُشكِلةُ الضوء
أنَّهُ
يعترِفُ بكُلِّ شَيء..
—

II- سرَقَ الخادِمُ مِشيتَكِ

التِمثالُ العاري
يستتِرُ بالزُهورِ الورقية
تُرى...
هل سببُ كَدَرِكِ
أنّي أضعُ
سُكَّراً في قهوتِكِ
أكثرَ مِمّا ينبغي.
/
أنسُلُ ما يعلَقُ من
شَعرِكِ على أسنانِ
مِشطي
وأحفَظُهُ في عُلبةٍ عاجيَّةٍ مُصفَرَّة
رُسِمَ على غَطائها
ثلاثةُ لقالقَ بيضاءَ
تلتقطُ الأسماكَ
بأعناقِها الطويلةِ المُلتوية
على شَكلِ علامةِ

استفهامٍ طبيعية.

/

(ضَعْ كلَّ شيءٍ في مكانِهِ
كي أستطيعَ رؤيتَه)
(لا تَرمِ بِهذا الحذاءِ البالي
يُمكِنُ للأطفالِ
أن يلعبوا بهِ في المَغطسِ
كزورقٍ)
أمّا الجوارِبُ
فهيَ تصلُحُ كأشرِعة.

/

حَريصاً على أن ألامِسَ
طرَفَ إحدى أصابعِكِ
كُلَّما أعطيتِني شَيئاً

...

بؤسُكِ يدفعُني للحركاتِ البائسة.

/

أذهبُ للسوقِ لأشتري قميصاً جديداً
فقميصي الذي كنتُ أرتديهِ
طوال السنةِ الماضية
قد اهترأت أطرافُ كُمّيهِ وقَبتُه
أولَ ما يقولُ لي صاحبُ متجرِ الثياب:
ابحث في السوقِ كله

لن تجدَ قميصاً أسودَ
سوى هذا الذي أعرضُهُ لكَ
فأصحابُ المطاعمِ والفنادق
قد اشتروها جميعَها لعمالهم وندلهم
لذا ترينَ ثيابِي دائماً قاتِمة
لأنَّها أقلُّ عُرضَةً للبُقع
وليست
كَما تظُنّين
أكثرَ مُلاءَمةً لِمَزاجي.
/
وأنا أخطُرُ في الممرِّ
ذَهاباً وإياباً
أستقبلُ الزائرينَ وأقودُهم إلى حيثُ
تقبعينَ بانتِظارهِم
تنبَّهتِ إلى أن الخادِمَ
سرَقَ
مِشيتَكِ.
/
فبأيَّةِ حيلةٍ
إذن
أستطيعُ
إسعادَك..
—

III- مضى زمنُ القُبلِ المجّانية

كمنظَرٍ انطباعيٍ وَسِخ
كوحلٍ
لا أحدَ يقولُ لي:
(أنتَ مَصدرُ بَهجتي
أنتَ مصدرُ بَهجتي
الوحيدُ).
/
أتوحَّشُ في عالَمٍ خاصٍّ بِي
مستعيراً جِلدَكِ
غطاءً للحميَ المكشوط
وحينَ أجيبُكِ بنبرَةِ العارِفِ:
(الوَحدةُ في الأماكنِ المزدحِمة
أكثرُ منها في أيِّ مكانٍ آخرَ)
أكونُ مُنهمِكاً
بعمليةِ
تقطيرِكِ

إلى دُموع.

/

أشفِقي على كُبريائي
أشفِقي على مَكانتي بينَ أُخوتي
وحينَ تكونينَ في خُلوةٍ
ولا شيءَ لديكِ تتَلهينَ بهِ
عَضّي على قَلبي
بأسنانِكِ.

/

الساعةُ تعمَلُ دونَ عقارِبَ
ولن تستطيعَ أن تَجِدَ
بُرهاناً على حقيقةِ الوقت
حتّى وإن قُمتَ بتَعدادِ دقّاتِها
دقَّةً دقَّة
وأنتَ تُنقِّلُها
كسمّاعةِ هاتفٍ ثقيلةٍ
خلالَ مُحادثةٍ طويلةٍ مُضجرَة
من أُذنٍ إلى أُذن.

/

وكأنَّهُ مَضى
مَضى إلى غيرِ رَجعةٍ
زمنُ القُبَلِ المَجّانية..

—

IV-

علي أن أتحسب لكل شيء
الشاي بألوانه الأربعة
الأسودِ والأحمرِ والأصفر والأخضر
منذ فترة
بتِّ تستسيغين
الشاي الرمادي الباكر.
/
ألمجرد أني عاملتك كسيد
تعاملينني
كعبد

أستطيعُ رؤيةَ عِظامِكِ

كانَ يجِبُ أن تَحدُسي مُنذُ البِدايةِ
أو بعدَها بقليل
أنَّ القاتلَ هوَ الخادمُ
الَّذي يفتحُ لكِ الباب
ويستقبِلُكِ بقميصهِ الأسودِ المُبقَّعِ بالزيت
ثُمَّ يقودُكِ داخِلَ الرُدُهاتِ
والرَوائحِ
دونَ أن يرفعَ ناظرَهُ إليكِ
مرَّةً واحِدةً
ليتفقَّدَ وُجودَكِ.

/

مواسياً نفسيَ من كَثرَةِ
فُقداني لأشياءَ
ما كنتُ أصدِّقُ أنّي إذا فقدتُها
أنني ما زلتُ قادراً
على الاستيقاظِ في الصباح
والذَهابِ إلى هُنا وهُناك
وتبديدِ الوقتِ كيفما اتَّفق

أو تبضُّع بعضِ اللَوازِم
لكونِها في الأصلِ
أشياءَ غيرَ قابلةٍ للفُقدانِ
فلا هيَ تذوبُ في الماء
ولا هي تتبخَّرُ بفِعلِ حرارةِ الجو
إلاّ إذا امتدَّت إليها يدٌ وأخذتْها
من حيثُ وضَعتُها
أو رُبَّما تنقَّلَت مِن مكانٍ إلى مكان
حتّى تَناهَت إلى موضُعٍ مَجهولٍ
لا يُمكِنُهُ أن يكتَشِفَها فيهِ أحدٌ
فأنا أيضاً من أُولَئكَ
الَّذينَ يحتاجونَ إلى ألغازٍ عظيمة.
/
ما إن ترمينَ بنفسِكَ مُتهالكةً
على الكَنبةِ الوحيدةِ في غُرفتي
حتّى ينطفِئَ الضَوءُ
لِتَحكيمي تركيبَ مِفتاحِ الكَهرباء
خلفَ مِسنَدِ الظَهرِ الأخير
الَّذي عادةً ما يؤثِرُ الجلوسَ عندَهُ
الخَواصُّ من زوّاري
عِندها في العَتَمةِ
أستطيعُ رُؤيةَ عِظامِكِ..
—

V- لَم تكترِث لدُخولِكِ السَتائر

ليسَ هُناكَ قلب
هناكَ بطنٌ وأطراف
وهناكَ أيضاً حيواناتُ زينةٍ
تأتي وتذهبُ
وكأنها تشتَمُّ رائحةً ما وعلى الطاولةِ
وأشياءُ أخرى من هذا القَبيلِ وغيرِه
ولكِن
ليسَ هُناكَ قلب.

/

يُشبِهُ هذا شيئاً قُلتُهُ لكِ من قَبلُ
لأنَّ ما يحدثُ
يعودُ ويَحدثُ
ثُمَّ يعودُ ويَحدثُ
ثُمَّ يعودُ ويَحدثُ
دونَ أن تأتِيَ تلكَ اللحظةُ
الَّتي نعرِفُ فيها
ما نُحِبُّ وما نكرَه.

/

نأخُذُهُ دونَ حاجةٍ
نعيدُهُ دونَ أسَف
نأخُذُهُ لأنَّهُ مُحتَّمٌ علينا إعادتُه
ولَو كانَ زائداً كمِلحٍ
إذا ما تركناهُ زمناً في رُطوبةِ القبو
ينمو.
/
يختلِطُ كلُّ شَيء
بكُلِّ شَيء
المكانُ والوقت
كُلُّ منهما يشُدُّ بِكِ بيدّ
وباليَدِ الثانية
يُزيحُ الأذى على جانبَي الممرّ
وهوَ يقودُكِ
إلى جُحريَ المخروطيَ
ذي السُدادةِ المُحكمة
فكيفَ لَم تُلاحظي
أنَّهُ لَم تكترِث لدُخولِكِ
الستائر.
/
مَزَّقتُ صورتَكِ
الَّتي لَو وقَعَ عليها نَظَرُكِ
لَكُنتِ مزَّقتِها بنفسِك

لأنّي بالغتُ قليلاً بِحدبةِ الأَنفِ
ولَم أضعِ العينَ
في مكانِها الصحيحِ
تَماماً
فبدت وكأنَّها صورةُ
أُختِكِ
البشِعةِ.
/
فكُلُّ مَن أُقيمتِ المأدبةُ لأجلِهم
لَم يأتوا
ومن حُسنِ التدبيرِ
أنَّكِ لَم تغفلي أن تُحضري للبيتِ مِشجباً
يصلُحُ أن تُعلَّقَ عليهِ الأخطاءُ
بدلَ القُبَّعاتِ والمَعاطِف.
/
في الصَّيفِ ترغَبينَ لَو أن لا يأتِيَ الشِّتاء
في الشِّتاءِ ترغَبينَ لَو أن لا يأتِيَ الصَّيف
فلا يبقى هناكَ ما يُغنيني عن
أساكِ
ليسَ سِوى
هذه
المعاناةِ اللاّهية..

الفِهرس